





أبيض غامق



أحمد بن محمد

# أبيض غامق

مجموعة قصصية



قندیل | Qindeel

# Dark White

Ahmed Bin Mohamad

(Series of Stories)

## أبيض غامق

مجموعة قصصية

أحمد بن محمد

© 2018 Qindeel printing, publishing & distribtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلا ف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « المجلس الوطني للإعلام» في دولة الإمارات العربية المتحدة  
رقم: 01-9479444-MC-02 تاريخ 2018/8/5

ISBN: 978 - 9948 - 24 - 969 - 6



قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© جميع الحقوق محفوظة للناشر 2018

الطبعة الأولى: أيلول / سبتمبر 2018 م - 1440 هـ

أُنجزت هذه المجموعة القصصية بإشراف  
القاص إسلام أبو شكير  
في إطار برنامج دبي الدولي للكتابة



## المحتويات

11	.....مقدمة
13	.....ابن الجنيّة
23	.....أبيض غامق
27	.....الشقة 507
33	.....إلى ما بعد الذاكرة
37	.....زجاجة عطر
43	.....شقاء
51	.....طبّاخ بيع بين
57	.....حين ماتت الزرقاء
65	.....ظلّ
69	.....كتاليا



## مشروع نابض.. وجيل واعد

منذ إطلاق «برنامج دبي الدولي للكتابة» عام 2013، تحت رعاية سمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، كان علينا مضاعفة الجهود؛ لنكون أكفاء لتحمل مسؤولية إعداد جيل من الكتّاب الشباب لحمل مشعل الفكر، وليصبحوا في مصاف الكتّاب العالميين، وقد آلينا على أنفسنا أن نذلّل كلّ العقبات التي تحوّل دون نجاح هذا المشروع الحيوي النابض، الذي يعكس وجهاً حضارياً آخر من وجوه دبي.

وها نحن ذا، نرى عشرات الكتّاب الشباب الذين تخرجوا في البرنامج في مختلف حقول الكتابة، حيث الرواية والقصة والترجمة والكتابة للأطفال والياfeعين، والأمل معقود باتجاه فنون كتابية أخرى؛ ليكتمل المشهد الإبداعي مع جيل موهوب يتقن فنون الكتابة الاحترافية، حسب منهج علمي ولغوي، وتقنية صحيحة، جيل تدرّب على أيدي أساتذة أكفاء، نقلوا له المعارف والخبرات والمهارات اللازمة؛ لتكتمل دورة المشهد الاحترافي، والهدف الكبير أن نصل بهم إلى العالمية.

لقد أعطى برنامج دبي الدولي للكتابة للشباب الموهوبين إبداعياً، جرعةً من الأمل ليحققوا حلمهم، ولم نكتفِ بتدريب الموهوبين داخل الإمارات؛ بل انطلقنا عربياً عبر ورشٍ تدريبيّةٍ في تونس ومصر والكويت، متجاوزين الحدود الجغرافية للوصول إلى الشّباب العربي في بلدانهم، وإطلاق ورشاتٍ تدريبيّةٍ مع مدرّبين محليين مشهود لهم بالكفاءة؛ لتصبّح الفائدةُ من البرنامجٍ أوسعَ وأشمل.

لقد كان هدف البرنامج منذ البداية، دعم المؤلّفين والوصول بهم إلى العالمية، في شتّى مجالات المعرفة من العلوم والبحوث إلى الأدب، وقد لمسنا نتائج طيبة خلال الورشات الماضية؛ فقد فازت كتب من البرنامج بجوائز مرموقة، وبات يُنظَرُ إلى هذه التجربة بكثير من التقدير والاحترام داخل الإمارات وخارجها. وها نحن اليوم ندفع بكوكبة جديدة من خريجي البرنامج إلى الساحة الثقافية، عبر هذه الكتب المتميزة التي أُنجِزَت خلال البرنامج، ونحن على يقينٍ بأنّها ستكونُ موضعَ تقديرٍ وترحيبٍ من القراء والنقاد والمهتمّين.

**جمال بن حويرب**

**المدير التنفيذي**

**لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة**

## ابن الجنيّة

- كلا وألف كلا.. لن يمكنك تصوّر ما سيحدث حينها..
- ولكن الدور..!
- لا يهمّ.. سألغيه إذا تطلب الأمر. أرجوك. أنتِ لا تعلمين  
كم هم فوضويّون!
- لكنك لست..!
- يا حبيبتي أنا واحد. لم تتعايشي إلا مع شخص واحد منهم.  
ليسوا ودودين ألبتة. إنهم همج. هـ م ج.. سيؤذونك لا محالة.
- ولكنّ البقية لن يستجيبوا لك إن لم أشاركهم.
- لفهما الهدوء. تعقّدت ملامحه، وبدا عليه الارتباك. تصبب  
عرقه. وضع يديه على صدغيه. غاب في تفكير عميق لم يطل.  
رفع رأسه بسرعة. حدّق في عينيها. ارتسمت ابتسامته لإرادياً..
- سنخبرهم بأنك مريضة، ولا يمكنك المشاركة معهم..
- نحن لا نمرض!
- ولكنك في ذلك..

- ثم إنهم ربما يستمعون إلى حديثنا الآن..
- ولكن كيف! ألا ترينهم؟! -
- تنهدت، وارتمت على طرف السرير كمن استسلم للواقع..
- ليس وأنا على هذه الهيئة. سيكتشفون عاجلاً أم آجلاً أنني لا أستطيع ذلك..
- لم تخبريني بذلك سابقاً..
- عاد السكون يخيم على المكان. أطرقت كمن أذنب ينتظر العفو. ألقى هو بنفسه على الأريكة المقابلة، ينتظر ما سيسعفه به ذكاؤه لتدارك الموقف. أرخى أطرافه كما جفنيه، وانساق خلف إغفاءةٍ لذيذة لم يبلغها حين قاطعت راحته معيدةً إياه إلى صلب المشكلة..
- ماذا الآن؟
- لا أعلم. لا أعلم. ليست لديّ أدنى فكرة عن ذلك..
- لن يستطيع أحد أن يؤدي هذا الدور غيري..
- وما رأي سعادتك في الموضوع؟
- سأقوم بهذا الدور، ففي آخر..
- في آخر عرض لم تكوني أنت. لقد اختفت سونيا إلى الأبد بعد أن أصابها الصبيّ بحصاته..

- دعني أكمل كلامي أولاً.. في آخر عرض كانت سونيا خائفة، ولم تتقن الدور، ثم إنَّ هروبها من الصبي دفعه لمحاولة اصطیادها..

- وما الذي كان يجب أن تفعله؟!

- لو اقتربت منه قليلاً فداعبها، ثم طارت، لما ألقى بالحجارة عليها..

- لا تقولي بأنك تفكرين في فعل ذلك. لست بذلك الغباء. صحيح؟ قولي بأنك تمازحيني..

- أنا جادة في ذلك..

- كفى كفى سنجد حلاً في الصباح

\* \* \*

في الغرفة الخلفية للمسرح كان يعدل هندامه التقليدي أمام المرأة. قبعتها الأسطوانية الطويلة كنبلاء الفرنسيين أو الطليان، عند أولها ممّا يعلو الرأس خطّ عريض أبيض تماماً كلون قميصه ذي الأكمّام الطويلة. أخذ يغلق الأزرار الثلاثة الكبيرة نوعاً ما لسترته السوداء التي بلا أكمّام. تأكد من شدّ الحزام. رش في يديه شيئاً من العطر. رفع القبعة، ومسح شعره. رش أخريات، ومسح أكمّامه، فبنطاله الأسود. لبس كفيه الأبيضين أخيراً، ثم أخذ نفساً عميقاً وأخرجه بهدوء..

- اسمعي.. إن كنتِ مصرّةً على ذلك، فعليك أن تفعلني ما  
قلته لكِ وإلا فلا..

- ولكن ذلك سيظهر لهم حقيقة أعباك..

- لن يكتشفوها.. سيظنونها خدعة بصرية فقط..

- إذاً؟

- إذاً ستظهرين معي بصورة المرأة الحسناء في بداية  
دورك، وتختفين حين أشير إليك بالعصا في ختام العرض..  
- اتفقنا إذاً..

كان مدير المسرح قد شرع في طرق الباب تواءً. تأكد من  
اكتمال مظهره للمرة الأخيرة. تنحنح بصوتٍ مسموع..

- من الطارق؟

- تيسير.. مدير المسرح.. أتأذن؟

- تفضل أستاذ تيسير.. تفضل..

فتح الباب. جال ببصره في الغرفة وكأنه يبحث عن شيءٍ  
ما. طاف في أرجائها ليتأكد من خلوّ المكان..

- هل هناك شيء سيدي؟

- لا شيء.. لا شيء.. كنت عابراً من أمام الغرفة، فأردت

أن أطمئن على استعدادك للعرض، وأسألك إن كان ينقصك شيء.



رفع قبعته. أخرج من تحتها سكيناً بنصليين. أعاد قبعته إلى مكانها. بدت أمارات الدهشة على المدير، لكنها لم تخفِ ملامح الخوف التي افترشت وجهه. عقد حاجبيه، وقلب السكين بين إصبعيه بخفة. أشار بيده جهة الباب، وكأنه يسحب خيطاً رفيعاً مربوطاً به، فأغلقه بشدة جعلت المدير يرتجف في مكانه طالباً الرحمة. فضحك كالمجانين..

- هذا جزء من يتلصصون على خصوصيات الآخرين يا حضرة المدير..

- أرجوك لا تفعل. لن أخبر..

لم يدعه يكمل كلامه، ألقى بسكينه الحادّ باتجاه وجه المدير مباشرة. جفل المدير. تبيّست أطرافه. وقبل أن يصل السكين إلى منتصف جبهته تحول إلى وردة حمراء، واحتل مكاناً ما كان شاغراً في بدلته.

- يبدو أنك قد بللت نفسك يا سيدي.. يجب أن تبدل ثيابك وتلحق باللقطة الأخيرة..

خرج ضاحكاً من الغرفة تاركاً المدير في حالة لم تفسّر..

\* \* \*

أضيئت الأضواء على طاولة فارغة. أطفئت مرة أخرى، وكان العرض قد بدأ خطأً. ثم أضيئت من جديد على دخانٍ

كثيف غطى خشبة المسرح بأكملها، فأخفى الطاولة، ثم بدأ يتلاشى لتظهر الطاولة مجدداً وقد تمركز خلفها هو، أو كما يعرفه معجبه بلقب «ابن الجنية». ارتفع صوت التصفيق والصفارات. وقف قريباً من الحافة. خلع قبعته. أحنى ظهره ملقياً التحية للجمهور الذي لم يعد يجد مكاناً للجلوس فبقي واقفاً. تحية للجهة اليمنى، فاليسرى، ثم الأخيرة للمتصف. وقبل أن يعتدل برزت أذنا أرنب من القبعة. تصنّع عدم انتباهه لها. ضحك الجمهور الغفير دفعة واحدة، فافتعل ملامح تعجبية استنكارية، ثم سمع أحدهم يصيح:

- القبعة..

وآخر:

- الأرنب..

ثم أبرز ملامح التوتر، ونظر إلى قبعته فرأى الأذنين تتسللان خارج القبعة شيئاً فشيئاً صرخ في الأذنين بشيء لم يسمعه الجمهور جيداً. تجمدت الأذنان. صرخ بهما مرة أخرى، فانسلتا إلى الداخل بسرعة. أوماً إلى الجمهور باعتذار عن هذا الخطأ المفتعل، فصفقوا بحرارة.

عاد إلى موقعه خلف الطاولة. خلع القبعة. وضعها في منتصفها مقلوبة. افتعل بالسبابة والوسطى صوتاً، فظهر بيده معولٌ زراعي. انتفض في مكانه. رفع حاجبيه فبدت في ناصيته

ثلاثة خطوطٍ من الاستغراب. ضحك الجمهور. ألقى بالمعول جانباً. افتعل الصوت مرة أخرى، فظهرت في يده عصاً سوداء بطرفين فضيين، فتهللت أساريره مع تصفيق الجماهير.

أشار بالعصا إلى القبعة، فأطل منها أرنبٌ أبيض برأسه. أشار إليه بيده الأخرى فخرج. وقف على الطاولة، وأسدل أذنيه كصغير مذنب. بدأ صوت الموسيقى مع حركات العصا. كلما أشار إليها خرج منها أرنب جديد. فجأةً توقفت الموسيقى. هز رأسه بشدة مستغرباً. اقترب من الأرنب. أشار إليها بيده مستفسراً عما حدث، فرفعت الأرنب أكتافها على نسق واحد مجيبةً بالألم لها، ما فجر في الجماهير ضحكات هستيرية.

نظر داخل القبعة، ثم نظر إلى الجماهير نظرة من وقع في مصيبة. وضع ظاهر كفيه على خاصرتيه كمن ليس بيده حيلة. ثم ظهرت فوق رأسه لمبة مضيئة صفراء أشارت إلى أنه وجد الحلّ، فأضحكت من رآها، وما إن تحرك حتى سقطت على الأرض وانكسرت. تأفف مما يحدث. أشار إلى الجمهور معتذراً، ثم خاطب الأرنب بشيء غير مسموع، فهزت رؤوسها منصاعة لأوامره. توجهت على الفور إلى الزجاج المحطم على الأرضية، وأخذت تجمعه، فتعالت الضحكات والتصفيق مجدداً.

أدخل يده في القبعة، وبدأ يشدّ شيئاً ما من داخلها. أخذ يشدّ بقوة، ثم يستريح، يشدّ ثم يستريح، حتى تصبب عرقه. أخرج من جيبه منديلاً. قرّبه من جبهته، لكنه طار قبل أن يلمسها. أراد أن يلحقه، لكنه اختفى خلف الستار. وقف متبرماً فركضت نحوه طفلة صغيرة من بين الجماهير، ومدت له منديلها. شكرها، وقبّل جبينها. مسح عرقه، ثم مدّ يده إليها بالمنديل. أرادت أن تمسكه، لكنه اختفى. ثم مده إليها مجدداً بيسراه، ثم حوّله إلى وردة جورية حمراء أعطها إياها، وأخرج أخيراً المنديل من جيب سترته العلوي، فعادت إلى مكانها على صافرات الجماهير وصراخهم.

عاد يحدث من في القبعة:

- سأعدّ إلى ثلاثة.. ادفعوا بعدها بقوة..

أشار إلى الجمهور، فبدأ بالعد معه.. واحد، اثنان، ثلاثة.. ثم لم يلبث أن خرج من القبعة أرنب سمين بدا أنه كان عالقاً، لكن القبعة كانت قد مزّقت تماماً مع خروجه، فوقف محتاراً بين قرابة خمسةٍ وعشرين أرنباً تحلّقت حوله. ظهرت اللبّة مجدداً، وقبل أن يتحرك فكها وألقاها باتجاه الجمهور، فتحوّلت إلى بتلات ورد، فصفقوا مجدداً.

حمل غطاء الطاولة. ألقاه على الأرناب، فاختفت جميعاً إلا السمين. أشار إليه بعصاه فاختفى. صفر لشخصٍ ما خلف

الستار، فظهرت امرأة حسناء تحمل صندوقاً بطولها تقريباً. ألقى التحية على الجمهور، ثم استلقت راضخةً لأوامره في الصندوق. برز منه رأسها وقدمائها. أخرج من مكان ما منشاراً، ثم أخذ ينشر به الصندوق الذي تقبع المرأة بداخله. شقّه نصفين. ساد الترقب والخوف وجوه الحاضرين. بدأ بعض الأطفال بالبكاء بينما كان يبعد النصفين عن بعضهما. مرّ من بينهما كمن أضع شيئاً. أعاد النصفين إلى جانب بعضهما. أخرج شريطاً لاصقاً. أداره حول الشقّ. تحركت المرأة بعد أن كانت ساكنة. كلمها وكأنه يسألها عن شيء ما، فأشارت إلى أذنه. تلمّس فوق أذنه فوجد عصاه السحرية. ضحك الجميع. فتح الصندوق. أخرج المرأة. بدت سليمة وكأنها لم تقطع نصفين تواءً. ألقى التحية على الجمهور. رمى بالغطاء عليها فاختفت، ثم أشار إلى الغطاء مرة أخرى فظهرت من تحته حمامة بيضاء، طارت ثم حطت على كتفه. بدأ يرتب أغراضه كمن يستعد للرحيل. أدار ظهره للجمهور فضحك الجميع. التفت إليهم متعجباً. صرخوا:

– الحمامة.. لقد وسّخت سترتك..

اهتز بكل أركانه. خلع السترة على عجل ليتأكد من قولهم. صرخ في الحمامة بحنق، فطارت فوقه. رماها بعملة معدنية فابتعدت عنه، وهربت إلى الجمهور. أشار مجدداً بعصاه إليها فاختفت، وانتشر الريش على رؤوس الحضور، وأطفئت الأضواء.

## أبيض غامق

لا تحية، وبعد؛

كنت أعلم منذ البداية أن هذا الأمر لن يتم، لكن ذلك لم يمنعني من إتمام التجربة وإعطاء كل ما لدي محاولاً لإنجاحها. وبعد عام ونصف العام من البداية، صحت من سكرة العشق. أخذت ألممني من هنا وهناك. يبدو أنني وهبت الكثير مني في سبيل ذلك. فقدت الكثير فعلاً دون أن أشعر، لذا قررت أن أكتب هذه الرسالة. ليست لكِ أبداً، إنما هي للتخلص من بقاياك، واسترجاع ما تبقى من شتاتي لديك.

ليلة العيد، أخبرتكِ أول مرة بأنني أحبك. أتذكرين كيف قلتها؟ ما زالت البسمة ترسم على شفتي عندما أذكر تلك (القصيدة) التي بدأت أبياتها بتلك الأحرف الأربعة على الترتيب.

كنتِ أول من أعطيه المفتاح، وأسكنتكِ في منزل لم يعيش فيه أحد قبلكِ رغم كثرة الطارقين. سجلته باسمك. أحببت ذلك، ولكن!..!

لأكن صادقاً، فقد غيرت في داخله الكثير. نظمت نبضه. أصبح لا يقوى على انتظار شروقك كل صباح. امتلك أثاثاً مثيراً أفاض على مالكه صفاتٍ أبرزته بين أقرانه. أعرف أن ذلك لم يكن هدفك من الدخول، ولكن حتى لا أظلم جهدك، فقد كنت مستأجرة مثالية.

لقد كانت ثقتي بك أكبر من أن يقرّها عاقل. خالفت المنطق. كسرت القواعد، واخترقت قوانين الحب كلها. تنازلت عن الكثير طمعاً في القليل منك. أشعر بالندم على الكثير من الأشياء. الأسرار التي قلتها لك. لم تكوني بذلك القدر من المسؤولية التي تؤهلك لسماع حرفٍ منها. كنت أظن أن ذلك سيدنيني من السراب، ولكن السراب يبقى سراياً.

حين كانت الشكوك تدب بين أضلعي، من غيبتك، انقطاع رسائلك، إهمالك، قرب غيري منك دون مبرر معين، كانت تلك الأعذار المعلبة تنقذك دائماً: (أخذوا هاتفي، اكتشفوا علاقتي بك، أعياني المرض ولم أرد أن أشغل بالك، مات زوج أخت جدتي، تزوج حمد..). كانت أعدارك إبرة مخدّر يفرغها اهتمامي بك في العروق، تسبق عتابي على الدوام، تنسيني ديبياً راح يعلو أكثر فأكثر.

صحيح أنني أزلت كل شيءٍ يتعلق بك من ذاكرتي، ولكن قصاصة الورق المقوى التي تستقر في محفظتي حتى

اللحظة، تنفي تلك الخرافة دائماً كلما استسلمتُ لرغبة أنفي  
باستنشاق الحياة منها.

أتذكرين؟ الصورة الأولى التي أريتنِي إياها احتفظت  
بها طويلاً. في الواقع، ما زالت تداعب مخيلتي بين الفينة  
والأخرى. لحظة رؤيتي لها علمت أن بعضهم كانوا يخادعوننا  
مذ كنا صغاراً! هل تصدقين ذلك؟! كانوا يقولون إن كوكب  
الأرض يملك في مداره قمراً واحداً فقط!

تفاصيلك الآسرة تحتل الخيال في لحظات الشرود، بل  
إنها تفرض الشرود غالباً، بلا سابق إنذار، وفي أي وقت.  
شامتك الساحرة المستقرة تحت شفتيك الورديتين. صفحة  
وجهك الصافية. أنفك الرفيع. العينان العسليتان اللتان تعلقان  
فلقة القمر. كلا كلا! لقد كانتا رماديتين، بل زرقاوين. نعم،  
صحيح؛ لقد كانتا تتلونان كل يوم بلون مختلف. بصراحة، لم  
تكن الزرقاء تناسب بشرتك كالعسلية. لا شيء يضاهي اللون  
الطبيعي. صدقيني. أنتِ الأجمَل دون شيء.

في آخر مناسبة احتفلنا بها تأكدت، مع أشد الأسف  
وبالغ الشعور بالخيبة، أنك لم تحملي لي في قلبك ذرة حبٍ  
واحدة. حين احتفلنا بيوم ميلادك، كنت أظن في بادئ الأمر  
أنها مصادفة جميلة جمعتني بك، وأنه لا بد لي أن أتجاوز  
حدود التجربة لتصبح القصة قصة حبٍ ذات نهاية شهرزادية،  
ولكنني وإلى الآن لم أعرف الخطأ الذي ارتكبته كي تنسي

يوم ميلادي، كي تنسيني بالكلية. هل كان اليومان اللذان تأخرتِهما في بطن أمكِ بعدي هما السبب يا ترى؟ لا يهم. لم أكن أنتظر منك الكثير أصلاً.

حتى لا أنسى.. لقد قال عزيز بأنه يحبك ويريد الزواج بك. لم يقلها صراحةً، ولكن أفعاله التي يقوم بها أخيراً تقول ذلك بكل وضوح. أسئلته المتكررة عنكِ وعن أخبارك تثير الشك في كل من يراها أو يسمعها. لا أستغرب إن كنتِ على علاقةٍ به، فأنتما حينما تجتمعان يظهر ذلك في حديثكما، وفي أسلوبكما، في خطاب بعضكما. ثم إنك تعرفين عنه الكثير. تعرفين أنه يدرس في نفس التخصص الذي تشاركه نحن الاثنان أيضاً. تعرفين عمره، مؤهلاته، نسبته في الثانوية، أُنديته المفضلة، مواهبه وهواياته، تعرفين الكثير، الكثير فعلاً! ربما أنتِ لا تعرفين عني أنا كل ذلك القدر الذي تعرفينه عنه، ربما.. وربما لأنه أغنى، أو سم، أقرب إليك من فارق اليومين بيننا. لا أعلم ما السبب، ولكنني أعلم أن علاقتهما تثير الريبة. في الحقيقة، لم يعد الأمر يهمني، ولكنها مجرد نصيحة، وإن كانت لن تفيدكِ كثيراً حين يعلم بعلاقتكِ مع فيصل.

يبدو أنني أطلت الكلام في الفراغ، وأعطيتك من وقتي الكثير. أتمنى أن تعذري غبائي حين أحبتك، وأتمنى لك حياة مليئة بالسعادة والهناء. وختاماً يا من نسبتِ باسمكِ إلى البدر، أريد أن أخبرك أنني وكالخليل إبراهيم، لا أحب الآفلين.

## الشقة 507

خرج من المصعد يجر قدميه نحو باب الشقة التي اتخذها سكناً منذ بداية العام. لم يستطع أن يميز شيئاً من تلك الروائح المتداخلة التي احتلت أجواء الطابق. لم يعرف أيّاً من مصادر انبعاثها، ولكنه عرف أنها رائحة لا تطاق. وصل إلى جالونات المياه التي تتموضع أمام المدخل..

- الفاضية عالسار، والمليانة عاليمين.. مشان الله يا جماعة.

اعتاد سماع تلك من العم مرعي مسؤول الشقة الأول ومديرها الوحيد. فتح الباب دون أن يطرقه. استقبلته رائحة المطهر التي يعج بها الحمام الذي يقابل الداخل لحظة فتحه للباب. أغلق باب الشقة، فباب الحمام الذي لم يعهده مفتوحاً من قبل إلا حال خروج أحدهم منه. تعثر بالأحذية المتساقطة من الرف القابع هناك منذ قرون. ألقى التحية. ردت عليه رؤوس أطلت من المطبخ الذي يلي رف الأحذية على يسار الداخلين إلى شقة العزاب تلك..

- أهلاً يا بو حميد.. تعالَ كُلّ..
- شكراً يا عم رامز.. مليش نفس والله..
- مشى نحو الداخل خطوتين أخريين..
- طيب مش تقول الحمد لله عالسلامة يا عم؟
- مشير باشا.. الحمد لله عالسلامة. وحشتنا يا شيخ.
- وصلت إيمتى؟
- تعالَ كُلّ بسبوسة الأول، وأنا حقول لك على كل حاجة..
- معلش أصل أنا لسا آكل والله..
- حترمي صدقني..
- خلاص سيبها في الثلاجة وأنا حبقى أعدي عليها
- الصبح.. عم أبو آدم، أبو أسر، ازيكوا جماعة؟
- أكمل طريقه إلى الداخل. حمل حذاءه. ألقى حقيته عند
- باب الصالة، وأكمل خلال المدخل الضيق نحو رف الأحذية
- الخاص به. أحس أنه ذاهب إلى جزر الواق واق. مرّ على
- غرفة السرر الأربعة..
- مساء الخير أستاذ أيمن، ازيك؟
- مساء النور يا حبيبي، ازيك إنت؟ عامل ايه؟
- ليس من الضروري أن يجيب، فالجواب معروف بطبيعة

الحال. وصل إلى الرف. رمى حذاءه عليه. أطلّ برأسه داخل غرفة الستة..

- عم حمدي مساء الورد..

- أهلاً.. ازيك يا ابني؟ ربنا يديك الصحة..

- الحمد لله.. ازاي ابنك دلوقتي؟

- ربنا يبارك لك، الحمد لله، أحسن شوية، حيعملوله عملية تانية بعد خمسين يوم..

- ربنا يشفيه ويفرحك فيه، أمال أحمد أبو طويلة فين؟

- نزل مع توفيق وعبدالقادر للجينية من ربع ساعة تقريباً..

- والحاج إسلام بيصطاد كالعادة؟

- أيوة، دا يموت في الصيد يا ابني، أخذ أحمد اللي بينام فوق هناك معاه المرة دي..

- ههههههه، ربنا يعينهم ويوفقهم..

غادر غرفة الستة بعد أن حضر المؤتمر الصحفي لآخر مستجداتها. مر عائداً بغرفة الأربعة، الصالة، أو غرفة الثمانية. أخذ حقيته ودخل. أول من يقابل غالباً حال دخوله، عدو البرد الأول، أبو فضل..

- مساء الخير يا جدعان.

- مساء النور، الحمد لله عالسلامة، ايه الأخبار؟
- زي الفل الحمد لله.
- بقولك إيه، هو الجو تحت برد ولا عادي؟
- لا عادي.
- أربع خطوات أخرى. ألقى الشنطة على سريره العلوي..
- عم علاء، ازيك يا عم علاء؟
- الحمد لله، انت مبسوط معانا؟
- هههههههه، أيوة يا عم مبسوط معاكم.
- فتح باب الشرفة. تلقفه صوت الجيتار الخاص بأمين.
- أصابعه ترقص على الأوتار في تناسق عذب. طرب جزائري رفيع المستوى. مجموعة كلمات ربما فهم منها واحدة أو اثنتين فقط..
- الصحبة، السلام عليكم.
- ههههههه، الصحبة، وعليكم السلام.
- وشراك؟
- لا باس، الحمد لله.
- قفَلَ راجعاً إلى الصالة وهو يفكُّ أزرار قميصه بخمول وكسل ظاهرين..

- عم مرعي فين يا عم صلاح؟
- خرج من العصر، ليه في حاجة؟
- لا أصل اليوم لازم أديه الفلوس بتاعة الشهر ده.
- أيوة، هو خرج مع محمود على العصر كده، حيرجعوا  
كمان شوية.
- آه، طيب.
- تخلص من ثيابه. ارتقى درجات السلم الثلاث واصلاً إلى  
سريره. ارتمى عليه. تنهّد. وما لبث أن غطّ في نوم بلا قاع .



## إلى ما بعد الذاكرة

عزيزي منصور؛

ربما لن تذكر شيئاً مما خططته هنا، ولكن؛ لتكن هذه الرسالة مرجعاً إلى شيءٍ من الذاكرة التي سوف تختفي لا محالة. اليوم هو الخامس من رمضان التاسع عشر، عام 1417. قبل ثلاثة أيام، ومن أعلى النخلة المنتصبه في باحة المنزل الداخلية، كان منظر القرية شاعرياً جداً بعد أن غادرتها الشمس، وأما عن القفز من منتصف النخلة عند سماع مدفع الإفطار فقد كان ممتعاً للغاية، ولكنه في ذلك اليوم كان مؤلماً جداً إلى حد فقدان الوعي.

يوم نوم كامل على الفراش البالي. وسادة العجوز العتيقة. رائحة اللبِن المتشبع بالرطوبة الخانقة. الخزانة المتهالكة. طاولة خشبية بلا لون معين. مذياع. شيء ما أشبه ما يكون بالزهريّة. صوت نسيمات الهواء تتسلل عبر النافذة الشرقية وكأنها تسترق السمع لما يجري. كل شيء كان ساخناً، باستثناء

خرقة غطت الجبهة، ومقياس الحرارة تحت اللسان، سماعة طيبب القرية التي تتجول على الصدر العاري، وبرودته، قشعريرة سرت حينها في الجسد فرقص معها أخمص القدم. - ستنقل إلى المشفى لإجراء الفحوصات واتخاذ القرار الطبي في حالتك الصحية..

انعقد اللسان وثقل، تشتت الأفكار..

- لن تستطيع الكلام الآن، وربما لفترة.. يجب أن تنقل قبل أن تسوء حالتك..

غص المكان برائحة المنظفات، أصوات الأجهزة الطبية، وخز إبرة المغذي في الساعد، رجال ونساء، بيض الملابس يتجولون في الأرجاء جيئةً وذهاباً..

«سقوط قوي على القفا، أضرار من الدرجة الأولى في الأجزاء الخلفية من الدماغ، مع نزيف داخلي أدى إلى تعطل حركة اللسان، امممم، حسناً، لا بد من شق القفا لتفقد الدماغ ومعالجة الأجزاء المتضررة منه، سيستعيد النطق في الغالب ولكن ذاكرته.. لا نعلم إن كانت قد بدأت بالتلاشي فعلاً، ولكن العملية ستحذفها كلياً».

ديفيد بارنيت، أخصائي الجراحة الحساسة. كان هذا اسم الدكتور الذي سيجري العملية. لقد زار الغرفة اليوم.

بالمناسبة، لقد كان رقمها كآخر أربعة في هاتف المنزل،  
الغرفة 1013، وقد تقرر إجراء العملية غداً. لقد أصبح الأمر  
مجرد وقت.

إنها الواحدة وسبعٌ وعشرون دقيقة صباحاً. لو علمت  
العجوز بذلك لكانت العلقة على الريق أقل ما يتوقع منها.  
الوقت ينفد، والموعد يقترب، سأنام الآن، وسأكمل الكتابة  
صباح الغد قبل أن يختفي الماضي إلى الأبد.



## زجاجة عطر

رشة، اثنتان، والثالثة على الوسادة. غترته الحمراء  
المتضوعة بالعود المخلوط ببعض عطور نهر السين التفتت  
على العينين. انعقد الطرفان عند مؤخر الرأس. أكبت على  
الفراش. تسارعت الأنفاس. تدافعت نبضات القلب الواحدة  
تلو الأخرى. دفاء. نقرات المطر على النافذة. هزيم متقطع.  
ارتخت الأطراف. تمدد الساعدان على جانبي الجسد المنهك.  
خفتت الأصوات. تنهيدة، ابتسامة، وانتقال إلى عالم الأحلام.  
الشجرة الضخمة. الظلال الوارفة المستلقية على الأعشاب.  
خرير مياه الجدول. رائحة الزهور. الطبيعة الساحرة ذاتها.  
شهيق. وامتلاء الصدر بعبق الحلم الجميل .

- قلت لكِ ألا تكثري منه..

- حمد! صدقني ثلاث رشات فقط.. بالمناسبة؛ ألن  
تخبرني من أين اقتنيتته؟ إنه على وشك الانتهاء فعلاً. لم يتبق  
سوى بضع رشات أخرى و..



الأصابع. انثنت أصابع الأقدام ضاغطةً على الأرض. ارتفعت  
محاولةً تقليص فارق الطول. تقاربت الأنفاس. شهق زفيرها..

- انتظر.. انتظر!! أين خاتمك؟ أم أنه أنا فقط من يجب  
عليها المحافظة على خاتمها والاعتناء به؟! لقد وبختني في  
المرة الماضية، وها أنا أراك اليوم وقد أضعت خاتمك! ألن  
تكف عن...

- انتظري أنت.. لم أضع الخاتم، ولكنني نسيته على  
الطاولة قبل أن أخرج من المنزل وأتي إليك.

- منزل! قل إنك تريد الاستخفاف بي؟

- أجل.. منزل. أنا لا أستخف بك يا بلهاء. منزلي في  
أعلى هذه الشجرة.

- حسناً إذاً خذني إليه الآن.

- كلا.. أبداً.

- إذا سأصعد إليه وحدي.

- إياك أن تفعلني.

- ولم؟!!

- لا يوجد سبب معين.. لا تفكري في ذلك فقط.

- ألا تنوي التخلي عن كتمانك هذا؟

- ههههههههه.. ليس قبل أن تتخلي عن سداجتك.

علت ضحكاتها. ركضت إليه. حملها كطفلة مدللة. رمى بها إلى الأعلى. التقطها. دار بها حتى دار به ما حوله فسقط على قفاه. تمددت فوقه. ضحكا مجدداً. ثم استلقت إلى جانبه بين الزهور. اخترق السكون صوت خالد:

- انهضي يا سلامة..

غرقت عيناها بالدموع مجدداً..

حلّت العقدة. فكت الغترة عن عينيها. بدت عيناها أصغر..

- مبتلة بالدموع.. أليس كذلك؟

- صباح الخير يا أمي..

- حالتك النفسية في تدهور مستمر. بقي شهر من العدة. سأزوجك لأول شخص يطرق الباب. عليّ أن أترك قبل أن ألحق بأبيك.

- ولكن..

- سوف تتأخرين على حصصك إن لم تسرعني. طالبة الابتدائي مشاكسون، وسوف يسببون لك المشاكل.

أغلق الباب. احتضنت الغترة. استنشقت رائحته. ترجلت من فراشها. علقت الغترة في الخزانة. فكت أزرار الثوب. حملت

منشفتها على كتفها. حمام ساخن. قليل من مربى الفراولة على الخبز المحمص. رنين الجرس. ثم النشيد الوطني.

انتهى اليوم الدراسي. عادت إلى المنزل. حمامها الساخن. استرخاء على الأريكة. نشرة أخبار الخامسة. قهوة السادسة. السابعة لخالد. الثامنة لسلمى. شاي التاسعة. فيلم العاشرة. تأخر الوقت. نهضت إلى الغرفة. أغلقت الباب. شرعت في مراسم النوم. شيء من مساحيق التجميل. رشّة. اثنتان. لا أمل بخروج الثالثة. غترة. تنهيدة. فابتسامة.

ها هي ذا الشجرة والمروج. نسمات الهواء المنعشة. راحت ترقص مع الأزهار. تدرجت على العشب. داعبت مياه الجدول. غسلت وجهها. شربت. ثم استلقت في الظلال. جلست. وقفت. انتظرت خروجه طويلاً. ألقّت بيديها خلف ظهرها. أمسك رسغ اليسرى باليمنى. راحت تتسكع حول جذع الشجرة. جثت على ركبتها. رفعت بصرها إلى أعلى الشجرة. حاولت رؤية أي شيء يشبه المنزل. تسلقت الشجرة باحثةً عنه فلم تستيقظ.



## شقاء

ككل صباح أوصد باب المنزل من الخارج. استقرّ المفتاح تحت السجادة الصغيرة. زنزانة أسمنتية بطابقين. نوافذ زجاجية جميلة. قضبان غليظة من الألمنيوم الأسود. مكيفات هواء من أحدث الطرز. دخان وحدة لا يرى يخنق الأنفاس. ديكورات عالمية تزين الأرجاء. أشباح أوهام المستقبل. أثاث راقٍ. شظايا أحلام على الأرضية الرخامية. شقّة مترفة بدت كقفص الكناري المذهب البارز عند منتصف الصالة، فاره يسلب الحرية.

نهضت بصمت. هبطت من سريرها المعدني. عينان ضيقتان، سوداوان، غارقتان في الدموع نفرت شعيراتها الدموية فبدت جمراً. أنف رفيع، واسع المنخرين. شفتان بلا لون. سحنة حنطية مميزة. ثياب نوم قصيرة تعلقت على الأكتاف. جسد هزيل. وروح فارقتها الحياة.

بلغ تعطش جسدها إلى نيكوتين الصباح ذروته. خرجت من مهجعها. توجهت إلى المستودع الداخلي. أضاءت المصباح.

غرفة ضيقة غطى الغبار كل ما فيها تقريباً. امتلأ فراغها بالكثير من الأشياء المبعثرة. أدوات التنظيف. وأخرى للصيانة. عشرة أرفف معدنية امتلأت بالخردوات والقديم المهمل. أزاحت الكنسة الكهربائية جانباً. حطب رحلات الشتاء البرية. أخرجت علبة السجائر من خلفه. استلت ثلاث سجائر مختلفة. أجرت قرعة تأكدت أن تكون نتیجتها توافق هواها. سرحت بفكرها قليلاً، ثم أعادت كل شيء إلى مكانه عدا الثلاث.

على شفا الشرفة أوقدت سيجارتها الأولى. إنها غنيمة يوم الأحد الماضي من علبة سجائر السيد المبجل صالح. تذكرت تفاصيل جريمته الكاملة. ابتسمت بزهو. شقّ صغير في اللباس يفى بغرض إخفائها لأيام دون أن يلحظ أحد ذلك. انتهت الأولى إلى عقبها النبي. أوقدت الثانية. لم تكن لتسرف بهذا القدر في يوم من الأيام. هذه من علبة جاسم، الشيطان الأكبر في هذه العائلة. نفثت الدخان وقد اقشعرّ جلدها حين مرّ بخاطرها ذلك اليوم الذي كادت تكشف فيه. كان حريصاً على عدّها ألف مرّة في الدقيقة. العقب أبيض. أتخم جسدها بالنيكوتين. الثالثة هي المفضلة. طويلة بيضاء. كان من الممكن للشقّ أن يتسع لاثنتين منها دفعة واحدة. إنها سيجارة ماما شيخة، الأمرة الناهية في هذا المنزل، والكابوس الأعظم في هذه الحياة.

أشعلتها وامتطت خيول الذكريات إلى الماضي. اجتازت ألف يوم إلى الخلف. جامعة العاصمة. كلية التمريض. خشبة المسرح. قبعات سود مربعة الأسطح. أربع سنوات ملفوفة بشرائط حمر. والكثير من البهجة الموزعة في الأرجاء.

«النداء الأخير للرحلة رقم 1703» إلى بلاد الذهب الأسود، نحو الأشجار التي تثمر النقود، إلى السعادة الأبدية، الراحة والاسترخاء، الترف والحياة الجميلة، إلى الحلم الحقيقية.

- صباح الخير، السيدات والسادة المسافرين، نيابةً عن الخطوط الجوية الكويتية كابتن الطائرة فهد العيسى وزملائه الملاحون يرحبون بكم على متن الرحلة رقم 1703 المتجهة من مطار نينوي أكينو الدولي إلى مطار الكويت الدولي، مدة الرحلة هي 9 ساعات و40 دقيقة، ارتفاعنا الحقيقي 10000 قدم، درجة الحرارة الخارجية 13 درجة مئوية، يرجى الالتزام بتعليمات السلامة الموجهة من قبل الملاحين، طاقم الطائرة يتمنون لكم رحلة سعيدة، شكراً..

انتهت الثالثة. باشرت الروتين اليومي. انسلت إلى المطبخ. مخلفات الإفطار. غسلت الأطباق. جففتها. أعادتها إلى ترتيبها المعتاد. فناجين قهوة الصباح نظفتها. رصفتها فوق الصحون.

شرد فكرها في الأيام الأولى على هذه الأرض، مكتب

استقدام العمالة المنزلية. نيّف وعشرون امرأة على المقاعد. اختلفت القصص والأعراق، واتفق الشحوب واليأس على افتراش الوجوه.

تكومت الملابس المتسخة مجدداً. راحت تصنّفها. أبيض. ملون. غامق. وعباءات.. إلى تجويف الغسالة.. أدارت محركها. سكبت بعض المنظفات على الأرضية. الممسحة القطنية البيضاء ذات يوم. لمعت الرخامات المتجاورة. فاحت رائحة المطهر بين الجدران.. إلى المطبخ مجدداً.

- أبو الكلام، خذ الحقيبة إلى غرفة الخادمة..

مضت الشهور الأولى في تعلم الأساسيات.. الطبخ، التنظيف، آداب الضيافة، عدم الاعتراض، تنفيذ الأوامر، وطريقة الكلام مع السادة.. كلفها كل ذلك العديد من اللطمات التي لم تحصنها، والشتائم التي لم تكن تفهم منها حرفاً.

غرفة جاسم.. سرير ضخّم، خزانة بستة أبواب، أدراج على يمين السرير، أبجورة بيضاء مذهبة، طاولة المكتب الفخمة، علاها حاسب آلي، شاشة مسطحة سوداء، زهرية رخامية لامعة، زهور اصطناعية، الكرسي الدوار، سلة المهملات في الأسفل، شجرة الزينة في الزاوية.. كل شيء في مكانه الصحيح. هكذا تركها له كل صباح.

145 ديناراً، لا غير.. حصيلة 30 يوماً إذا اجتنبت المشاكل،  
100 إلى مانيلا، والباقي ينفد بطريقة ما.. انقضت السنة  
الأولى على ذلك. انتصفت الثانية. توفيت العجوز. تزوج  
المدلل روين. لم يعد أحد ينتظر عودتها. فاضت روحها  
ولكنها ما زالت على قيد الحياة.

الواحدة والنصف. (المكبوس) على نار هادئة. الغسيل  
على الحبال. والمكنسة الكهربائية تجوب ما تبقى من الصالة.  
البخور. فناجين القهوة. علبه التمر. صحن الكليجة. الدرايبل.  
دلة شاي القرفة. و صحن السجائر الزجاجي الشفاف.

الثانية وخمسون. عشر دقائق متبقية على بدء هجمات  
التوبيخ والصراخ وانهمار الشتائم. جلست تحت ساعة  
الصالة. أصغت إلى عقرب الثواني وهو يعزف سمفونية  
من ألم.

أدير المفتاح في القفل. فتح الباب. دخل جاسم كثور  
هائج. استلقى بعنفٍ على الأريكة. نظر إلى الطاولة.

- ميري! ميري!! أين الماء أيتها الحمقاء!؟

لم يكن ليشرب، ولكنه تفرغ لغضب يوم عمل شاق.  
كانت تلك البداية فقط. أوقدَ السيجارة الأولى.

اجتمعت العائلة على المائدة. وقفت إلى جانبها. انتظرت

وجبتها من اللعنات. طاشت الأيدي في الصحنون. فرغت،  
وانسكبت أكواب اللبن في الجوف تباعاً.

- كل هذه الفترة ولم تستطيعي أن تضبطي مقدار الملح؟!  
يا لك من بليدة!

- غبية، لن تستوعب، حتى الفلفل زائد عن الحاجة..

- قلت لكم بأني أريد واحدة أخرى، ولكنكم لا تستمعون  
إلى كلامي. حرام عليها 145 ديناراً..

كلماتهم المعتادة. ليست غريبة. ولكنها كانت تدفعها  
رويداً رويداً إلى الهاوية دون أن تشعر.

نصف ساعة. هدأ المنزل مجدداً. تناهت إلى الأسماع  
بعض أصوات الشخير. كانت الصحنون قيد التجفيف. دقائق  
أخرى وانتهى مسح الطاولة. كل شيء عاد إلى مكانه.

انسحبت إلى الغرفة. صفقت بابها بشدة. أدارت قفله. أنزلت  
حقيبتها من أعلى الخزانة المتهاككة. أخرجت صورة أمها.  
احتضنتها. أنت بوجع مكبوت. سالت الدموع. شهادتها الجامعية.  
قبعة التخرج. يا لتلك الروح! ارتمت على السرير باكية.

برهة من الزمان. كان المكان هادئاً نسيباً. صوت أنفاسها.  
غناء الكناري. لحن متناسق امتلاً كآبة وحنناً. تحاملت على ألم  
ألم بمفاصلها. فتحت باب الغرفة، فنافذة الصالة. اقتربت من

القفص . رمقت روحاً تعبث بداخله . فتحت بابه وابتعدت . راقبته وهو يخرج إلى الفضاء . ابتسمت . قفزت دمعاتها إلى عينيها .

جرّت أقدامها نحو علبة الإسعافات الأولية المعلقة على حائط المستودع . فتحتها . أخرجت إبرة فارغة . ثم هرولت إلى المهجع مجدداً . انهمرت الدموع . صرخت حيث لا صدى . تمكن منها كره الحياة . استلّت إبرتها . خلصتها من غطائها . سحبت بها ما تبقى من أوكسجين العمر . غرستها إلى آخرها في ساعدها الأيسر . أكبت على السرير . أكملت النواح تندب الحال .

أتى عبر الفراغ صوت ماما شيخة تناديهما . أرادت أن تجيب فلم تجد صوتها . لامست بأقدامها أرض الغرفة . همّت بالنهوض . أحست بوخز في أحد أرجاء جسمها . بحثت عن ألم جديد . نظرت فوجدت الإبرة ما تزال متشبثة بالساعد وقد أفرغت في الوريد .



## طبّاخ بيچ بين

بدأت الأوراق تفقد الكلوروفيل، فوهبتها الشمس صفرةً مميزة أعلنت عن انتهاء الربيع. كان برج الساعة على موعد مع دقات جرسها «بيچ بن». دقيقتان وثلاث وأربعون ثانية قبل أن تستيقظ العجوز على دقّته الوحيدة عند الواحدة، ست وثلاثون، خمس وثلاثون.. عشر، تسع..

كان الموقد ما يزال متّقدًا، وقطرات العرق لم تجفّ عن جبهته بعد. ألقى بجسده على المقعد الخشبي قبالة الموقد. أخذ نفساً عميقاً. مدّ يديه النحيلتين في الهواء، وقوّس ظهره إلى الخلف حتى سمع طقطقة فقراته. أخرج القلم من جيبه، وبدأ يكتب:

«المحاولة رقم 13. نفس المكونات السابقة بزيادة طفيفة في الملح، وإضافة بعض أوراق الزعتر الأخضر. ملاحظة: الزعتر سيء الطعم حين يحترق..».

- روبن، روبن.. هل أنت في الداخل يا ولد؟ افتح الباب.  
ما الذي تفعله في وقتٍ متأخر كهذا هنا؟

- لحظة واحدة من فضلك..

نهض من مقعده. فتح الباب للعجوز. أحنى رقبتَه فقبَّل رأسها.

- ألم تكتفِ بعد من تجاربك اللعينة تلك؟

- أرجوك يا أمي. إنها غاية في الأهمية. أريد الجائزة هذه المرّة..

- مكتبة من تلك التي غصّت بالجوائز إذا؟

- هذه المرّة..

- هذه المرة مختلفة. ما الفرق؟ ها؟ من سيحضر غير

العمدة ورئيس الوزراء؟

- لا لا، ليس من أجلهم. اليوم ستشارك ملكة الطباخين

الفرنسيين أيضاً، السيدة ماريه، ربّما سمعت..

- كلا، لم أسمع بها من قبل..

- أريد أن أثبت جدارتي أمامها فقط..

لم تشأ أن ترغمه على ترك هوايته الوحيدة. مرّ أمام عينيها

شريط طفولته كاملاً، كان يحب أن يجلس في المطبخ مع

الطهاة والخدم. يختفي تحت الطاولة كلما اقتربت من الباب..

- هل يمكنكِ تذوّق هذه الأطباق؟

- وما الفرق بينها؟!

- أريدك أن تخبريني به أنتِ..

التقطت العجوز الشوكة من يد ابنها وهي تراجع ذكرياته وعشقه لأدوات الطبخ منذ ما قبل الوعي..

- هذه في الأصل باستا إيطالية، من أشهر أكالات أصحاب برج بيزا المنتشرة في العالم و...

راحت تتابع مسلسل الذكريات الجميلة. تبسم حين تذكر ضحكاته الأولى، أيام المدرسة، التخرج في الثانوية..

- ياه.. سريعة فعلاً.

- ماذا؟ سريعة!

- أقصد أنها لذيذة جداً.

- هل اكتشفت الفرق بينها؟

- ليست فروقاً جوهرية، ولكن يمكنك إضافة شيء من الكاري بدل الزعتر الأخضر، القليل من الزنجبيل المفروم، وأضف فصاً أو اثنين من الثوم المهروس..

- ولكن هذه المكونات..

- اختراق المألوف سيضعك في المقدمة.

وافق على مفضل. غادرت العجوز على دقتين جديدتين للجرس. إنها الثانية..

أوقد النار مجدداً. لتر كامل من الحليب. كيس من المعكرونة. ملعقة كبيرة من الملح. ثم دعها تغلي على مهل.

توجه إلى الطاولة. تناول السكين. بدأت الخضار تفرم تحتها. البصل أولاً. سكب مقداراً كافياً من زيت عباد الشمس في المقلاة. الشعلة تتقد بأقل ما يمكن. فلفل أحمر. أخضر حار. وآخر حلو. وأصفر لتكتمل التشكيلة. قلبها جميعاً في المقلاة، ثم عاد لسكينه. فصّ ثوم. قطعة صغيرة جداً من الزنجبيل من أجل تجاعيد السنين. إلى المقلاة. حبة واحدة من البطاطا. ثلاث من الطماطم. بضع من جزرة. نصف كيس البازلاء المتبقي.. قلب الخليط مجدداً. مزيج خفيف من البهارات الشرقية. رشّة من الكاري. ملح صخري. فلفل أسود. وماذا أيضاً؟ ألقى نظرة على المعكرونة. حرّكها فيما تبقى من الحليب. ارتدى على الكرسي متثائباً. ثلاث دقائق. أفرغ المقلاة على القدر. أضاف المازوريلا. لا بأس بالشيدر أيضاً. حرّك المحتويات. سكبها في صحن الباركس المستطيل. اللمسات الأخيرة. رشّة فلفل أسود للزينة. دوائر البصل الأخضر على الوجه. ثم.. تجمد في مكانه فجأة. أسقط الملعقة الخشبية من يده، ثمّ راح يضرب رأسه بالجدار بشدّة.

«المحاولة 14، لا تنس الدجاج مجدداً».

مكعبات الدجاج أولاً هذه المرّة، البصل، تشكيلة الفلفل، الثوم، الزنجبيل، البهارات، الجبنة، صحن التقديم، دوائر البصل، ثم الجدار مجدداً.

«خمس دقات، المعكرونة لا تحتاج أكثر من 20 دقيقة، ملاحظة: رائحة الحليب المحترق تقلب الأمعاء».

- صباح الخير سي...

شهقت. وضعت يديها على فمها..

- إيلين، رجاء، اسمعي، هذا اليوم فقط.

- ما الذي تفعله؟ ظننت أنك ستنام باكراً من أجل المسابقة.

- كان لا بد من تجربة الطريقة الجديدة، أعتذر عن هذه الفوضى.

- أنت مهووس بالمركز الأول.

- هل ناديتني بسيدي حين دخلت؟!

- لا لا.. أقصد، لقد ظننتك السيدة في بادئ الأمر، ثم إنها توبخني إن نسيت مناداتك بها يوماً.

- هل أشبه النساء إلى هذا الحد؟! حمقاء.

ضحكا معاً، ثم أشار إلى الصحون الخمسة عشر..

- إيلين، خذي هذه الصحون، وزّعيها على العاملين هنا، السائق والخدم جميعاً، لا أريد أن تلقى هدرًا.

- وأيها لي؟

– القادم أفضل يا عزيزتي.

«المحاولة السادسة عشرة والأخيرة. لا شيء مميز. كل شيء في مكانه الصحيح فقط، المكونات مكتملة، والشكل الخارجي جذاب، السابعة بتوقيت غرينتش هنا لندن بي بي سي»..

## حين ماتت الزرقاء

كانت أذناها تلتقطان كثيراً من الأصوات المتداخلة. شيءٌ من الصراخ المستميت في خلفيّة ضحكات جبروتية، والعديد من الصيحات الضائعة بين الكثير من القهقهات، وصوت دموع تنحدر على الوجنات اختفى خلف ضرب على الطبول ونفخ بالمزامير، أوتار وغناء، ونشيج اخترق الفضاء بلا صدى.

الأصوات فقط. هذا ما يمكن رؤيته من الآن فصاعداً.

أخذت النبرات تخفت شيئاً فشيئاً، البعيد فالأقرب، العويل فالدموع، الضحك فالطبول والغناء، إلى أن بدا المشهد خالياً من الاهتزازات تقريباً. بضع ضربات تسللت عبر الهدوء الذي أخذ يطبق على المشهد، متتالية، ومنتظمة..

– زرقاء..

حاولت أن تسرق شيئاً من النور. أبصرت. نظرت ناحية الصوت. كانت أمها تجلس على بساط من الحصير أمام

أحجار الإثمد، تضربها بعضاً غليظة تباعاً فتسحقها، بين  
حيطان اللبْن، تحت سقف من أغصان الغاف وسعف النخيل،  
وسراج مطفأ معلق على الحائط، وقد انعكست على زجاجته  
المغبرة أشعة شمس نافذة عبر الفراغات في السقف..

- يا زرقاء، زرقاء!

- أمي! ولكن كيف؟

- تعالي لأكحلك.

- لقد غسلت عيني للتو يا أمي، أرجوك.

- قلت لك تعالي.

- ولكنني أحبّ لونهما هذا. لقد كان أبي يحبهما أيضاً.

- سأخبره إذا عاد بأنني لونتھما لك بالإثمد.

جرّت قدميها نحو أمها بتباطؤ. جثت على ركبتيها، ثم  
أغمضت جفنيها، واستسلمت للكحل الذي راح يزين العينين.  
اختفى الضوء، وعادت الضجة تحتل المشهد. كانت  
يذاها تؤلمانها بشدة، وظهرها تداعت فقراته من الوجع، وأما  
الحبل الذي لفّ قدميها، فقد بدا وكأنه ينهش اللحم والعظم  
معاً، حين اقتربت منها أصوات ضحكاتٍ رعديّة مشؤومة..

- انظر يا جُريج، هل تعرف من هذه المرأة؟

- لم أرها من قبل.

- هذه يسمونها الزرقاء، زرقاء اليمامة.

- إذا لم تكن كذبة! تباً لتلك اللعينة.

- أبداً، لقد نذرَ الملك أن يفقأ عينيها إن لقيها.

غابت الأصوات مجدداً، وتسلسل الهواء عبر عوارض خشبية مرصوفة إلى بعضها بعضاً أشبه ما تكون بباب منزل. خرجت إلى ساحة القرية، ثم سمعت صوت أمها مرة أخرى..

- أعطيه هذا التمر وقولي له أن يأتي إليّ الليلة لأمر مهمّ.

- حسناً يا أمي.

- عودي قبل الغروب.

ركضت إلى حيث أخذتها قدماها، وقد علقت صرّة التمر عند خاصرتها. غطت أنفها من غبار الخيول، وعبرت بها السوق المزدهم بأصوات الباعة والمشتريين، إلى الحصن الشرقي للبلدة..

- توقّفني أيّتها الفتاة.

توقفت وراحت تلتقط أنفاسها المتقطعة..

- من أنت؟ اكشفي وجهك فوراً.

أنزلت اللثام عن وجهها وهي تقاوم تفلّت أنفاسها القصيرة  
المتتابعة..

- زرقاء؟! -

تصنّعت التآفّف وهي تقول:

- خالي، ألم تعرفني من عيني؟! -

ضحك وتمتم قائلاً:

- كنت أريد أن أريك كم هو الوضع معقّد هنا عند

البوابة!!

- حسناً، أرسلت إليك أمّي هذه الصرّة وتقول لك إنها

تريد أن تراك اليوم لأمر مهمّ.

- وماذا في هذه الصرّة؟

- تمر..

التقط منها الصرّة، وراح يفكّ عقدها، بينما كانت هي

تتفحّص جدار الحصن بعينيها..

- ماذا؟ هل تريدان الصعود؟

- ولكن.. أليس ممنوعاً؟! -

غمز لها بعينه، وهو يضع سبّابته على فمه، ثم سحبها

بهدهوء نحو الدرج المؤدي إلى أعلى الجدار.

تنهد وهو يضع كفيه على خاصرتيه ثم قال:

- كيف وجدت المنظر من هنا؟

- أبي قادم.

- ها؟ هل قالت أمك ذلك؟

- لا لم تقل شيئاً..

تأفف ثم أردف:

- لا بد أنه مات في الحبشة.

- كلا.. إنه قادم، إنني أراه.

تأفف مجدداً:

- قلت لك إنه لن يعود. لقد مات. مات. ألا تفهمين؟!

- معه خمسة جمال، وهو يركب على فرس أبيض و...

- ما رأيك أن تعودي إلى البيت؟ سوف تغرب الشمس

بعد قليل، هيا..

هبطت من الأعلى، وتلاشت الصور مجدداً وهي في

طريقها إلى المنزل..

كان لهيب الشمس محرقاً في ذلك الصباح، ومن بين

الهمهمات التي انتشرت في المحيط فجأة، قرعت الطبول

مرتين متتاليتين قبل أن يصرخ شخصٌ ما:

(بيان مهمّ أيها الناس، اسمعوا وعوا، وليعلم الحاضر منكم الغائب، لقد قرر الملك حسان أدام الله عزّه أن يجعل الإمامة مقرّ إقامته الجديد، وسوف توزّع الأملاك على الجنود يوم الجمعة أمام قصره العامر، أطال الله عمر مولانا الملك ولتحفظه الآلهة).

انتهى المنادي من الحديث. أرادت أن تصرخ في من حولها فتشققت شفتاها، وسال الدم إلى حلقها الجافّ. مدّت لسانها إلى الخارج بما تبقى من قواها. مررته على الشقوق بلا فائدة. ومنذ خرج من فمها لم يعد إليه أبداً.

الأصوات تختفي، والصورة ترسم من جديد، أمام الملك هذه المرة..

- سيدي الملك المعظم، هذه الزرقاء ابنة أختي، وترعم أن لها مقدرة على رؤية المسافرين والقادمين إلى بلادنا قبل وصولهم بمسيرة ثلاثة أيام، وإنها يا مولاي قد رأت اليوم صباحاً جيش الملك حسان وهو يتّجه نحونا، فأرجو من سيادتكم أن تأخذوا الاحتياطات اللازمة لذلك..

- وهل تأكدتم من صحّة زعمها؟

- لقد ثبتت صحّة تنبؤاتها عدة مرات منذ طفولتها.

- حسناً، ولكن لتعلم أيها العجوز الخرف ومن معك أنني سأقتلها إن كانت كاذبة.

رمقها خالها بنظرة تردد وحيرة، فشددت بقبضتها على يده  
فهزّ رأسه موافقاً:  
- بالإذن يا مولاي.

وحين تلاشت الصورة، كانت أنفاسها قد أعلنت الاستسلام،  
راحت تصدر فحيحاً يكاد لا يسمع..

- ألم تمت تلك الساحرة بعد؟

- لم لا تقتلونها فتريح وتستريح؟

حينها سمعت صوت رمح يخترق أضلعها. لم تستطع أن  
تحرك ساكناً. توقفت عن التنفس للحظات. سمعت أصواتاً  
تصرخ. سمعت بكاءً ونحيباً. وبين ذلك كله كان صدى ما  
يقول باستهزاء:

- كيف للأشجار أن تمشي؟!

- يبدو أنك كبرت كثيراً فأصابك الخرف.

وعندما قرروا أن ينزلوا جثتها عن الأخشاب، كانت محاجر  
عينها ما تزال تنبع بدموع سود لم تنضب.



## ظِلٌّ

بعد عصر كل يوم كنت أصطحب معي حقيبة اللاب توب،  
وجهاز الإنترنت النقال، وسبع ورقات خضر من النعناع تسبح  
في برّاد شاي صغير.

أجلس على الكرسي في الحديقة، أخرج اللاب توب، وأضع  
حقيته مستندة إلى أسفل الكرسي، وأبدأ بعدها بتعبئة البيانات،  
وإكمال المعاملات التي لم أكن لأصبر عليها دون تلك الورقات  
السابحة في براد الشاي. المعاملة الأولى، الثانية، ويتصف  
البراد. الثالثة، الرابعة، وعند انتهاء الخامسة يكون مخزوني من  
الشاي قد نفذ حتى آخر قطرة.

أهوي بضجر إلى الحقيبة. أرفعها على قدمي، وأدسّ فيها  
اللاب توب، وأتجه إلى العمارة، شقتي، فالسرير.

في ذلك اليوم، وحين هويت إلى الحقيبة، انتبهت له لأول مرة  
وهو يتحرك معي بانسجام. ضحكت كطفل اكتشف توّاً أنه يملك  
ظلاً متطاولاً وقد أصبح كناطحة سحاب مستلقية على الأرض.

بقيت على تلك الحالة برهة، حانياً ظهري، ممسكاً بطرف الحقيبة، أراقب المشهد بصورة مائلة. كنت أنظر ببلاهة إلى ذلك الظلّ المنسوح على الرصيف. ثم رأيت فجأةً ينهض. تابعته ببصري دون أي استيعاب لما يحدث. مشى مبتعداً باتجاه العمارة. ابتسمت له حين أشار لي بيده مودّعاً، وبلا وعي مني حملت بقية أغراضي ورحت أمشي بجانبه.

تسمرت مكاني حين أدركت بعض خلايا مخي أن هناك خطأ يحدث. تابع مسيره منفرداً. هرولت باتجاهه وأنا أصرخ:

- هيبه، أنت، إلى أين أنت ذاهب؟!

لم أسمع صوته طبعاً. لم أكن أعرف كيف يمكنني فعل ذلك، ولكنه توقف حين سمع صراخي. التفت ناحيتي، وأشار بيده باتجاه العمارة:

- هل تتغابي عليّ أم أنك غبيّ؟ أنا من يجب أن يذهب، و عليك أنت أن تمشي بجواري، وتحاكي تحركاتي..

أشار بإصبعه نحوي، ثم حرك ثلاث أصابع ناحية رأسه بحركة دائرية متتابعة..

- لا أحد مجنون سواك، عليك أن تقلدني ولا تأتي بتحركات على مزاجك. قف بجانبني ولنمش معاً..

ضرب جبهته بكفّه، ثم أشار ناحية الكرسي. نظرت، فوجدت براد الشاي ما يزال هناك..

- تعال، سنحضره ونعود..

مسح جبينه برسغته، ثم بسط يده وحركها في الهواء أمام وجهه..

- حرّ؟ دقيقة يا رجل، سنحضره ونعود..

مشى نحو الكرسي ومشيت بجانبه. أخذنا البراد، وتوجّهنا معاً نحو العمارة.

في اليوم التالي راقبته كل النهار. كنت خائفاً من أن يخرج عن السيطرة، لكنه لم يكن يفعل شيئاً غيبياً. حركاتي وحركاته كانت متطابقة تماماً..

- حسن، هل أضعت شيئاً؟

- من؟ أنا؟ كلا، لماذا؟

- يا مثبت العقل والدين يا رب!

تابعت عملي وثلاث ورقات تسبح في الفنجان أمامي على المكتب..

عند العصر اصطحبت عدّتي وخرجت مبكراً لأتمكن من الحديث معه. جلست وجلس هو. بقي مستلقياً على الرصيف يتحرك كما أتحرك تماماً.

المعاملة الأولى، الثالثة، الخامسة، السادسة، ولم يتغاب بعد. وحين شردت أفكر فيما حدث البارحة، رأيتَه مجدداً يتحرك

بمفرده. وكأنه مديده إلى جيبه، أخرج شيئاً أشبه بعلبة. أخرج منها قلماً، وضعه في فمه، أخرج ولاعة و..

- مدخن!! ما شاء الله.. منذ متى يا قليل التربية؟

وضع رجلاً على رجل، ثم حرك كفه بجانب أذنه عدة مرات..

- زمان..

- يعني متى؟

أشار بكفه كمن يفك غطاء علبة، ثم أشار بثلاث أصابع، وأربع..

- ثلاثة أو أربعة شهور؟

أشار بالسبابة نافياً..

- سنين..

قبض أصابعه ورفع الإبهام.

- مارلبورو؟

أشار بالنفي، ثم وضع كفيه على بعضهما. ثبت اليسرى ورفع كفه اليمنى عالياً بهدوء..

- كبير، طوي.. طويلة، حمرا طويلة..

أشار بالإيجاب، فضحكت بهستيرية..

## كتاليا

الغريب في الأمر أنها لم تخبرني بذلك! والأغرب فعلاً أنني لم أكتشفه بنفسه رغم كل المؤشرات التي لا تؤدي إلا إلى الحقيقة نفسها. انقضى شهران منذ أن احتلت الكرسي المجاور لي خلف مكتب الاستقبال. كان قد وضع هناك منذ أسبوع تقريباً، أشبه ما يكون بما في صالونات الحلاقة.

- مرحباً، صباح الخير يا مسعود، أنا كتاليا، موظفة الاستقبال الجديدة، أتمنى أن نقضي وقتاً مميّزاً في العمل معاً..

هكذا عرّفت نفسها في اليوم الأول الذي بدأت فيه مزاوله هذه المهنة. لم أستغرب معرفتها لاسمي وهي لم تقابلني من قبل. ربما أخبرها به المدير أو أحد موظفي الفندق الآخرين، أو أنها قرأته من على صدري، ببساطة، لا يهمّ..

كانت شفّتي العليا حينها تلامس سطح فنجان القهوة الساخنة. ارتشفت بعضها وقد ارتفع كلا حاجبيّ ليسمح

لصورتها بالمرور من خارج الإطارين المربعين حول عيني، وكانت ثلاثة خطوطٍ أفقيةٍ قد ارتسمت على جبيني بفعل تلك النظرة العجيبة. وبالهدوء نفسه، سحبت شفتي السفلى إلى داخل فمي وأنا أتابع يدي وهي تضع فنجان القهوة على المكتب، ثم عقدت حاجبي بثقلٍ مفتعلٍ راسماً ثلاثة خطوطٍ رأسيةٍ بينهما هذه المرّة، ثم قلت باقتضاب:

- صباح النور كتاليا، مسعود أحمد، تشرفت بلقائك..

حنطيّةٌ معتدلة الطول، ابتسامة هادئة، شعر لم يتعدّ منتصف الرقبة، بني داكن، مفروق من منتصفه عند أعلى الجمجمة. كانت ترتدي اللباس الرسمي المخصّص للإناث، التنورة السوداء المنسدلة إلى ما تحت الركبتين، القميص الأبيض، الفيونكة السوداء، الجاكت مغلق الأزرار، و (كتاليا) متشبّثة على يسار الصدر.

ثمانية ساعات كنت أفضيها كل يوم وهي إلى جانبي، نستقبل النزلاء الجدد، نردّ على اتصالات المستأجرين، ونوجه لتلبية طلباتهم. وفي الدقائق القليلة بين التاسعة والعاشرة والتي نفرغ فيها من كل شيء تقريباً، كنا نقوم بترتيب الأوراق المتناثرة هنا وهناك، فواتير العملاء، الأوراق الثبوتية، وغيرها ممّا يزدحم به المكتب، وتجاذب شيءٍ من أطراف الحديث الذي لم يكن يحصل إلا نادراً.

بعد مرور الأسابيع الأولى بدأت ألاحظ أموراً لم أستطع تفسيرها. في الحقيقة؛ لم أرد أن أتعب خلايا مخي بالتفكير فيها، فهي لا تغادر مقعدها إلا نادراً وللضغوطات القصوى فقط، فلا دورات مياه، ولا استراحة للفظور أو الغداء، كما أنّها في الواقع لا تحبّ تناول أيّ شيء أثناء ساعات العمل. غريبةً نوعاً ما في هذه الأمور. لم أشاهدها تفعل ذلك ولا حتى عن طريق الخطأ أو المصادفة. لم أعر الأمر أي اهتمام أصلاً.

كانت كتاليا من النوع الجادّ في كلّ شيء، تنفذ كل ما يطلب منها دون تدمرٍ أو تباطؤ، ذكية، سريعة البديهة، كانت بارعة في الإنجليزية أيضاً وكأنها من مواليدي لندن، لكن المدهش فيها أنها تتحدث سبع لغات أخرى بالطلاقة ذاتها. ولأكون صريحاً، فقد أخذ الإعجاب بها يتغلغل في داخلي شيئاً فشيئاً.

- مرحباً كتاليا، مساء الخير..

- أهلاً مسعود، مساء النور، كيف حالك؟

- بخير، هل تحوّلت مناوبتك إلى المساء أيضاً؟!

- ههههه.. تتظاهر أنك لا تعلم؟..

تصنّعتُ ضحكةً بلهاء وأردفت:

- أنا أكره المناوبة المسائيّة، حقاً إنني أكرهها..

بدت وكأنها متعبة بعض الشيء. حركتها كانت أقل وأبطأ، وإجابتها عن الأسئلة كانت تستغرق وقتاً أكثر من المعتاد. شعرت أنها ليست على ما يرام، ولكنني لم أسألها عن شيء أكتفيت بالمراقبة خلسة .

في اليوم التالي لم تكن موجودة خلف طاولة الاستقبال. تسلل إليّ بعض الفرحة والإحباط معاً. لم أبدأ يومي بتحيتها، ولكنني وللمرة الأولى سبقتها إلى المكان، البصمة أولاً، ثم أيّ شيء ثانياً. تأخرت لساعة، فنجان قهوة، ساعتان..

- تفقد بريدك الإلكتروني يا مسعود..

- حضرة المدير! حسناً حسناً..

- لا أعلم لم لا تقرأ الرسائل التي ترسل إليك؟

«وأنا لا أعلم لم ما زلت تستخدمون طرقاً قديمة كهذه»..

لم أخرج تلك الكلمات من فمي، كلا إطلاقاً، كنت لأخرج من الفندق بلا رجعة..

عدت إلى مكاني وفتحت البريد الإلكتروني. البريد غير المقروء 137، تقرير الملاحظات، أي تقرير؟!

المرسل: صابر الداود

الموضوع: تقرير الملاحظات

05 / 03 / 2023 - 04:06 م

السيد/ مسعود أحمد، المحترم

تحية طيبة وبعد؛

لقد تمّت الموافقة مبدئياً على طلب الإجازة الذي تقدّمت به الأحد الماضي، لكن الإجازة ستكون لمدة شهر ونصف الشهر بدلاً من شهرين، وإن كنت مصرّاً فنصف شهر آخر بلا مرتب ..

وبالنسبة لكتاليا؛ فقد توقّفت عن العمل فجأة صباح اليوم، وقد طلب المصنع تقريراً بأهم الملاحظات لزيادة الكفاءة وتطوير المنتج إلى الأفضل، لذلك أرجو أن تدوّن أيّ ملاحظة تراها مفيدة حول أدائها في الفترة الماضية، وترسلها إلى المصنع مباشرة على عنوان البريد المرفق،

وشكراً..



## المؤلف

- بكالوريوس الدراسات الإسلامية واللغة العربية من جامعة جميرا بدبي.
- له عدة منشورات ومشاركات في صحف عربية.
- مهتم بمهارات التواصل وصناعة التأثير.